مُهِمَّاتٌ تربويَّة

رمضان ١٤٤٦ من الهجرة النبوية

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء السابع والعشرون يوم الخميس 27 رمضان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. اللهم ارزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى، طهر قلوبنا، أصلح نفوسنا، جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن!

لازلنا بفضل الله ومنّته نتمتّع باختيار بعض آيات كتاب الله ومناقشتها على ما يتيسر، لتصور طريق ونهج نصل به إلى العافية. أعظم ما يطلب الإنسان لنفسه في هذه الحياة: أن يعافيه الله في بدنه، أن يعافيه في قلبه، أن يجنِّبه ربه الهوى والشهوات، فيُحَبَّب إليه الإيمان ويُزَيَّن في قلبه ويُكَرَّه ويُبَغَّض إليه الكفر والفسوق والعصيان. فيأتي الإنسان أوامر الرحمن وهو منشرح الصدر، مُقبلٌ عليها كغنيمة، وليس مُكرهًا عليها مُبغضًا لها.

ما أعظم العافية! لو عافى الله -سبحانه وتعالى- قلب الإنسان وطهره. وهذه من مِنَن الله، وهذا ما نسأل الله في هذه الأيام المباركة لنا جميعًا ولذرياتنا وللمسلمين، نسأله -عزَّ

وجلَّ- العفو والعافية، نسأله أن يعافي قلوبنا من الأمراض وأن يعافي أبداننا منها أيضًا وأن يعاملنا بعفوه على ما مضى.

هذا المطلب: العافية يحتاج إلى أسباب، مثلما يتناول أي إنسان الطعام طلبًا لعافية البدن، والدواء طلبًا للشفاء من المرض، والله هو الذي يطعم الإنسان، والله هو الذي يشفي الإنسان. مثلما نأخذ هذه الأسباب ونطلبها ونعرف أن الله مِن ورائها، يشبعنا ويطعمنا ويسقينا ويشفينا -سبحانه وتعالى- مع ذلك نأخذ السبب، كذلك في مسألة عافية القلب، نطلبها من الله، نعلم أنها بيد الله، نسأل الله ونأخذ بالأسباب التي توصلنا إلى العافية.

من هذه الأسباب ما سنتدارسه اليوم في سورة النجم وهو أمر في غاية الأهمية ويكاد الإنسان لا يخلو في زمان من هذا الأمر، كان لبعض الناس عافية، وكان لبعض الناس بلاءً وشدةً ومرضًا. يكون في بعض الأوقات للإنسان نفسه هذا الأمر قوة ووصولًا إلى الحق، ويكون هذا الأمر نفسه لنفس الإنسان سببًا للضعف والضيق. وهذا الأمر ذكره رب

العالمين في سورة النجم، وذكره في سورة الأعراف، وتكرر ذكره لأجل أن يناقش الإنسان نفسه مناقشة عقلية ويصحح هذا الأمر، ويصحح هذا التصور، ويكون حازمًا مع نفسه في هذه المسألة.

نسمع الآيات من الآية (19) إلى الآية (23) وستكون هي موضوع النقاش إن شاء الله:

(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ)

هذه المهمة التربوية والمسألة التي نود مناقشتها تدور حول قوله تعالى: (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا)، **قضية التسمية**، تسمية الأشياء وأثرها وخطرها، هذه أحد المهام التربوية التي إن صحت وتعاملنا معها كما ينبغي، كان هذا سببًا للعافية، وإن تهاون فيها الإنسان وترك غيره يسمي له، وهو

يقلده ويسير على سيره، ولا يفحص هذه الأسماء ولا يرى مستندها، فيكون قد سلّم قياده لمن يفسده، ويذهب عنه العافية.

قبل أن ندخل في تفاصيل الكلام عن هذه المهمة وأدلتها الواضحة، نبتدئ أولًا بفهم سياق الآيات. هذه الآيات الكريمات جاءت في هذه السورة العظيمة، وكل سور القرآن عظيمة، وهذه السورة تدور حول موقف من المواقف العظيمة لنبيّنا الكريم، موقف من المواقف العظيمة لهذا الرجل العظيم -صلَّى الله عليه وسلَّم- موقف الإسراء به -صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى بيت المقدس ومعراجه -صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى السماء، وهذا الموقف قد ذُكر في سورة الإسراء وذكر هنا في سورة النجم، وخصّت مسألة المعراج في سورة النجم ذُكرت بما يدل على عظمة نبيّنا -صلَّى الله عليه وسلَّم- وعلى عظمة جبريل. فبعدما ذكر شيئًا من هذه الأحداث العظيمة التي حصلت في الملأ الأعلى وأخبرنا بها ربنا -سبحانه وتعالى- وأخبرنا بها رسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم- بعد هذه الأخبار يقول -عزَّ وجلَّ- :

(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ) هذا الكلام فيه إنكار على عابديها، أخبروني عن هذه التي زعمتموها آلهة، هل لها قدرة توصَف بها؟ هل أوحت إليكم شيئًا؟

بل هي جمادات لا تعقل ولا تسمع ولا تنفع ولا تضر، فكيف تجعلونها لله شركاء؟ أو كما زعموا جعلوها لله بنات، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا! أبعدما سمعتم عن الله، وعظمته وقدرته وعُلو شأنه، ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى وما بين ذلك، ورأيتم هذه الأصنام وأحوالها وحقارتها وذلّها، رأيتموها بهذه الحالة فتجعلونها شركاء لله؟ كيف تجعلون لله شركاء، ما تكرهون من الإناث، وتجعلون لأنفسكم ما تحبون من الذكور؟! يا لها من قسمة جائرة، ناقصة عوجاء غير عادلة! وهي في أصلها باطلة؛ تنسبون الأدنى للأعلى.

لو تنزّل الإنسان مع هؤلاء في المناقشة وقبل -حاشا لله- أن يكون ما يدعونه، أليس المفترض أن يُنسب الأعلى، كما في زعمهم، لله -عزَّ وجلَّ- تعالى الله عن ذلك كله، وينسب الأدنى للأدنى؟ والله -عزَّ وجلَّ- منزّه عن الولد (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)[1]، هو -سبحانه وتعالى- متفرد بالكمال المطلق، (هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)[2]، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[3]، (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[4].

هذا كله باطلٌ (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ)[5] هؤلاء الكفار الذين اتخذوا من دون الله آلهة، وزادوا في الشناعة بنسبة الولد إلى الله، ونسبة الأنثى -التي يشمئزون منها ويكرهونها- إلى الله، لا شك أن هذا دليلٌ على أن لا عقول لهم؛ لأن الإنسان إذا كان عنده عقل يفكر به لا بد أنه يوصِله إلى الحق. إن كان صادقًا جاءه توفيق الله، وإلا يتوه العقل وينحط كما حصل لهؤلاء، وسنرى العلة التي بها تاه العقل وانحط.

هذا العقل ربما خُدِع بهذه المسألة الخطيرة، وهذه المسألة أخبرنا بها -سبحانه وتعالى- قال لنا: (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ

---

[1] () الإخلاص: 2-3.
[2] () البقرة: 255.
[3] () الشورى: 11.
[4] () الأنعام: 101.
[5] () النحل: 62.

سَمَّيْتُمُوهَا) هذا الأمر الخطير الذي تحصل فيه الخديعة، ويحصل فيه الغش، وفي هذا الأمر تكبر المسائل التافهة -كما يعبرون-، مثل كرة الثلج، ويؤتى إلى الأمور العظيمة وتُهمل ويغفل عنها الإنسان.

نبدأ أولًا بالنظر إلى الآية وتفاصيلها ثم نعود إلى المفهوم مرة أخرى. بعدما استنكر -سبحانه وتعالى- على هؤلاء أحوالهم وما ادعوه، قال لهم: (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ) (إن) بمعنى: النفي، بمعنى: ما هي هذه التي أنتم تعظمونها وتهتمون بها إلا أسماء سميتموها تقليدًا لآبائكم، أنتم وآباؤكم الذين سميتموها، والأبناء تبع الآباء، فالله يلفت نظرنا لخطر تسمية الأسماء.

تصور "اللات" -مثلً-، يطلقون اللات على هذه الصخرة باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها. يشتقون اللات من اسم: "الإله" في أحد المعاني، ويعكفون على عبادتها، سموها باسم مشتق من أسماء الله، وهذه التسمية سمحت لنفوسهم أن يتعاملوا معها كأنها إله! ومثلها "العُزّى"، سموها: العزى، وجعلوا هذه التسمية طريقًا لهم فيصفونها بأنها عزيزة،

ومثلها "مناة" التي يُمنَى عندها الدم، يعني: يُراق لعظمتها، فأسموها بهذا الاسم وبسبب هذا الاسم أعطوا أنفسهم شعورًا بأنها عظيمة وأنها تستحق أن يُتقرَّب إليها بالقرابين.

هذا الأمر خديعة إبليسية عظيمة، وجريمة لا زال الناس يرتكبونها متتابعين: تسمية الأشياء بغير اسمها ما يؤدي إلى تعظيم الحقير وتحقير الشيء العظيم. (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ) أنتم فعلتم بها أن سميتموها.

ونلحظ بعد ذلك أن رب العالمين يقول لنا: (مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ). هذا يجعلنا نتصور أن الأسماء لا تخلو من حالين:

1. إما أن ينزلها الله -سبحانه وتعالى- وهذه لا كلام فيها.
2. وإما أن يمكن الإنسان من تسميتها وهذا يكون للتفاهم.

وهنا نلحظ أن معرفة أسماء الأشياء هي التي سبّبت الكرامة والمنزلة لآدم -عليه السلام- لأن الله -عزَّ وجلَّ- علّمه لما خلقه وكرّمه الأسماء كلها، فتصور كيف أن

الأسماء لها منزلة، فهذه أسماء الله سماها، سمى الأشياء بهذه الصورة، أو أعطى الإنسان قدرة على تسمية الأشياء، يشتق الإنسان من عمل الأشياء، من أحوال الأشياء، من صفات الأشياء أسماء.

وتصور أن هذه هي أداة التفاهم الرئيسة بين الناس، وهي: تسميتهم الأشياء بأسماء. لذلك مثل آية سورة النجم أتى في آية سورة الأعراف قوله تعالى: (قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ) تصور هذه الحال: أن يصل الإنسان إلى أن يجادل في أسماء هو سمّاها، وصفات وضعها، حقًا كان أو باطلًا!

نقول الكلام بطريقة أخرى: إذا سمى الإنسان شيئًا باسم، وأعطى هذا الشيء صفاتًا، ثم إذا أعطى هذا الشيء صفاتًا يمكن أن يجادل عن هذه الصفات، يجادل فيها؛ لذلك، كما في آية سورة الأعراف، هود -عليه السلام- كان يناقش قومه ويبين لهم ما أنعم الله به عليهم، حتى وصلوا أن قالوا له: (أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) كيف تطلب

منا هذا الذي اعتبروه جريمة؟ ووصل بهم الحال أن يقولوا: (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)، هود -عليه السلام- يريد أن يبين لهم ما هذه الأشياء التي تعبدونها؟ ما حقيقتها؟ فقال لهم: (قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم) في النهاية هذا الذي تعبدونه من دون الله، ما هو إلا شيء أنتم قمتم بتسميته، في الأصل هو لا شيء. فما كان من هود مع قومه إلا أن رأى هذا جريمة منهم، شيء لا قيمة له، ليس موجودًا، تأتون أنتم فتسمونه وتجعلونه كأنه شيء، بالأسماء أوجدوا الأشياء، فهذه المعبودات من دون الله (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ)، فهم تبنوها وجادلوا فيها (أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا) أنتم أوجدتموها بالتسمية، أشياء ما هي بشيء، في أشياء ما هي إلا أسماء وليس تحتها حقائق.

في سورة الأعراف قال تعالى: (مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ) ما فيها حجة ولا دليل، وهنا مثل هذا المعنى أيضًا، فما المقصود بالسلطان؟ كما تبين، واحد من أمرين:

- إمَّا أن ينزل الله هذه الأسماء، مثلما علم الله آدم الأسماء كلها.
- أو أنه -سبحانه وتعالى- يمكّن الناس من التسمية، وهذا هو الابتلاء. ماذا يحصل حينما يتمكن الناس من التسمية؟

الناس إما يكونون أصحاب عقل ويستعملون هذه القدرة التي وهبهم الله إياها كما ينبغي فيعرفون حقائق الأمور، ويختبرونها، فتكون النتيجة: أن يسموا الأسماء الصحيحة وينفعل الإنسان مع هذه الأسماء الصحيحة كما ينبغي، أو يسيرون على سير إبليس الذي سمى الأشياء بغير اسمها، وخدع آدم -عليه السلام- بهذه التسميات، فتسمية الأشياء بغير مسمياتها سنة إبليسية لا بد أن نتصورها، وهذه من المكائد التي يكيد بها الشيطان.

الشيطان من أجل أن يزين الباطل في قلوب الناس يسمي هذه الأشياء أسماء تغري الناس، وحينما لا يفحص المسائل، ويسير مع السائرين، والشيطان أخذ إضلال الناس وظيفة، الجلوس للناس على الصراط المستقيم أخذه وظيفة، إتيان

الناس من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وشمائلهم أخذه وظيفة، فبِمَكره وخبثه وخديعته يوقع الناس في الشر، لكن مفتاح الوقوع في الشر: تسمية الأشياء بغير اسمها، هذا هو المفتاح؛ لذلك تجد أن الأسماء التي يستعملها الشيطان للتزيين براقة خادعة.

ونأتي بأمثلة ونعود لنؤصل المسألة: بكل وضوح تجد كلمات براقة لأعمال محرمة، بل جرائم، هو ماذا فعل بآدم عليه السلام؟ أغراه باسم محبب للنفس من أجل أن يلبِّس عليه حاله ودينه، قال لآدم -عليه السلام- كما في سورة طه: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ) هذا هو الذي فعله، الشيطان يعرف صفات الإنسان، يعرف جِبِلّة الإنسان، يعرف أنه يحب الخلود والملك، فسمى الشجرة التي مُنع آدم منها "شجرة الخلد" من أجل أن يكون هذا الاسم المحبب للنفس سببًا للوقوع في الخطأ. فابتلي آدم -عليه السلام- وانساق وراء إغراءات الشيطان وتلبيسه، والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- نبهنا لذلك قال: «ليشرَبنَّ ناسٌ من أمَّتي الخمرَ يُسمُّونَها بغيرِ اسمِها»[6]

---

[6]() أخرجه أبو داود (3688).

فيسمي الأشياء المحرمة بغير اسمها من أجل أن يستميل عقول الضعفاء إلى استحلال ما حرم الله!

ها هي الرشوة تسمى "هدية"، والفجور يسمى "فنًّا"، والزندقة والضلال تسمى "حرية الرأي والتنوير"، والخمر تسمى "مشروبًا روحيّا"، ما يذهب العقل والروح يسمونه "مشروبًا روحيًا!" يسمون الربا "بيع وفوائد"، والميسر "مرابحة مالية"، وهذا كله من وحي الشيطان ومن حيله ومكر أوليائه ومن تزيين الباطل. هذا بالضبط هو زخرف القول، ولا يخفى ما يسمى اليوم بـ"حرب المصطلحات"، حُرِّفت الكثير من الكلمات والمصطلحات الإيمانية الإسلامية العرفية، فأصبحت دلالتها مستهجنة في نفوس الناس. كلام من أفضل ما يقال تجد الناس يستهجنونه كأنه من عمل الوسواس الخناس.

تصور كم في القرآن جاءت كلمة "الوعظ"، وكم أشير إلى أن هذه وظيفة الرسل ومن يتبعهم (إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ) نصوص كثيرة أشارت إلى أن الوعظ من مسلك الأنبياء ومن يتبعهم، ثم يأتي من يقول: "لا نريد مجلس وعظ!"، "لا تحول

الموضوع إلى وعظ!"، "لا أريد أن أكون واعظًا"، ماذا تريد أن تكون؟ وما الذمّ في أن تكون واعظًا؟ وما العيب في الوعظ؟ لكن هكذا تحرف هذه المعاني ويتلاعب بها.

من كان له تصور لهذه المسألة وتابعها سيجد أن في كل مرحلة من مراحل تدهور الإنسانية، وأهل الإسلام مع هؤلاء المتدهورين في هذا الزمان، يأخذون لهم نصيبًا من ذلك، مع كل تدهور يحصل تجد مجموعة من المصطلحات تنتشر، ففعل قوم لوط الفاحشة العظيمة التي ما أتى بها أحد من الناس قبل قوم لوط، والتي ذُمَّت على لسان العقلاء قبل أن تُذمّ على ألسنة الأنبياء، هذه تدرجوا بها في المصطلحات إلى أن استعملت مصطلحًا يجعل الأمر أنه في منزلة العادي وفوق العادي أيضًا من جهة القبول، وصل أنه ليس مقبولًا فقط، بل مستحسنًا أيضًا، وأن إنكار مثل هذا تخلف، وإلى آخره.

ونلاحظ أن الحرب تكون على الكلمات، على الأسماء، على المصطلحات، يعاقَب من يسمي هذه المسألة بهذا الاسم، تأتي محركات البحث وتكتب فيها كلمة من هذه الكلمات، إن

كان هذا الاسم جُرِّم تأتي بعض محركات البحث لا تعطيك نتيجة! وهذا كله لكي نتصور خطر التسمية، فمتى أراد الإنسان الذي يكون ضعيفًا في عقله تابعًا لهواه، متى أراد أن يصبغ شيئًا بصبغة القبول سماه اسمًا حسنًا، ومتى ما أراد أن يصبغ شيئًا بصبغة الرفض سماه اسمًا قبيحًا، وهذا مفتاح الإنسان ومفتاح تفكيره؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يتعامل مع الأشياء إلا عن طريق الأسماء.

جرب أن تجرد الأشياء من أسمائها واطلب من أحد أن يناولك شيئًا من الأشياء التي حولك والتي بدون اسم، ستجد أن أسماء الإشارة كلها لن تدله على هذا الشيء، ولو كثرت الأشياء غير المسمّاة يكاد الإنسان لا يصل إلى شيء من مصالحه.

وانظر إلى هذا الأمر في المولود الجديد، يأخذ حيّزه من الفكر ومن التعامل ومن الوجود باسمه، ومن هنا أمرت الشريعة باختيار أحسن الأسماء للمواليد؛ لأن هذه الأسماء مؤثرة عليهم.

نهانا النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أن نسمي صلاة العشاء، وهي الصلاة المعروفة، زمنها معروف، فقال لنا -صلَّى الله عليه وسلَّم- : «لا يغلِبنَّكم الأعرابُ على اسمِ صلاتِكم فإنها العشاءُ إنما يدعونَها العتمةَ»[7] تصور مكانة الاسم، الأعراب يسمون العشاء بالعتمة، فلا تطلقوا هذا الاسم مثل الأعراب، «فإنَّهَا في كِتَابِ اللهِ العِشَاءُ، وإنَّهَا تُعْتِمُ بحِلَابِ الإبِلِ»، الله سماه العشاء (مِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ) كما في سورة النور، هم أسموها "العتمة" لكونهم يعتمون بحلاب الإبل، يؤخرون حلب الإبل إلى شدة الظلام لأمر يتصل بسياسة الإبل. هم يسمونها العتمة والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ينهاك أن تسمي صلاة العشاء العتمة.

نلاحظ هذا الأمر، يمكن أن يأتي أحد يغلبك على الاسم، الناس يغالبونكم ويمكن أن يغلبوكم، فكونوا على حذر. ومثلها لما قال النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لنا عن العنب والكرم: «لا يَقولَنَّ أحدُكمْ لِلعِنَبِ الكَرْمُ ، فإنَّما الكرْمُ قلْبُ المؤمِنِ»[8].

[7]() أخرجه مسلم (644).
[8]() أخرجه البخاري (6183).

فتصور إلى أي درجة الأسماء أمر مهم، النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كان يغير بعض الأسماء الموروثة في الجاهلية ليصحح المفاهيم، ويبعد العقول والقلوب عن ارتباطها بأسماء تحمل صفات وهمية مرتبطة باعتقادات فاسدة. في الكرْم النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول إن الناس أسمت شجرة العنب "الكرْم"، والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- بيَّن أن الكرْم إنما هو قلب المؤمن؛ لما في المسلم وقلبه من نور الإيمان وتقوى الله، ولما أكرمه الله به وفضله على الخلقة. وقد ذكر بعض أهل العلم لماذا لا تسمى الشجرة بذلك؛ "كراهية أن تسمى الشجرة التي هي أصل الخمر باسم مأخوذ من الكرم، وجعل المؤمن الذي يتقي شربها، ويرى إكرام نفسه في تركها أحق بهذا الاسم الحسن"، وهذا من تأكيد حرمتها، ومن باب إسقاط الخمر عن رتبتها تحقيرًا لها وتأكيدًا لتحريم الخمر، سلب هذه الفضيلة بتغيير اسمها المأخوذ من الكرم، نهانا أن نسمي شجرة العنب شجرة الكرْم؛ لأن هذه الكلمة مأخوذة من الكَرَم، وأصل الخمر ليس مأخوذًا من الكَرَم، لا تسموا بهذا الاسم فإن في هذا خديعة للناس، فيظنون أن هذه الشجرة وما تنتج، إلى أن تصل إلى الخمر فيها الكَرَم،

والحقيقة أن المؤمن هو الذي يسمى بذلك لأنه أكرم نفسه بالانتهاء عن شرب الخمر.

تصور إلى أي درجة خطر هذه الأسماء، ومن هنا يتبين أن أهل الباطل يستعملون هذه الطريقة الشيطانية، الإبليسية للتشويش على أهل الإيمان، حتى أننا نجد أن الأمور الشرعية الممدوحة في الشريعة تسمى بأسماء مبغوضة وتوصف بصفات تقلل من قيمتها، وهذا على لسان المنافقين شيء عظيم، وهو على لسان الكفرة واضح، لكنه على لسان المنافقين أقوى وأوضح وأخطر؛ لأنهم يكونون في مجتمعنا، ويعرفون كلماتنا ودلالاتها ويعرفون أثرها علينا، فيكون التلاعب منهم قوي، واستعمال هذه الكلمات وتداولها يكون سريعًا.

هذه شبكة منافقين، في الإعلام وفي الصحف وفي أدوات التواصل، يعرف المجتمع، ويعرف الكلمات المتداولة للأشياء، يعرف الكلمات القبيحة، يعرف الكلمات الحسنة في لهجة القوم فيضع الكلمة القبيحة على شيء حسن ويتداولها، ولا تظن أنهم لا يتفقون في تداولها؛ لأن الله قد علمنا ونبهنا

وبين لنا في كتابه، أن هناك قومًا (سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ)، كما في سبأ. حينما يسعى الإنسان لتحقيق حلمه، يسعى لتحقيق مال أكثر، يسعى لإنجاح تجارته، يجتهد، الله وصفهم بهذا الوصف. هذا فعلهم (سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ) هذا سعي؛ لذلك في نفس السورة قال: (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) هؤلاء مواصلون، هذا يستلم مناوبة والثاني يكمل بعده، والذي يعتقد خلاف ذلك ما عرف الحقيقة ولا عرف القرآن. القوم ينفقون أموالهم من أجل أن يشوهوا الحقائق ومفتاح تشويه الحقائق هو الأسماء؛ لأن مفتاح فهم الإنسان للأشياء هو الأسماء، يسمي الشيء باسم ويتعامل معه بعد ذلك بهذا الاسم، ونحن في الإيمان نهتم بالأسماء؛ لذلك الله -عزَّ وجلَّ- في سورة الأعراف التي مررنا عليها قال: (أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا)، في تلك السورة ورد قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) هذه المعبودات من دون الله أسماء بدون حقائق، أما أسماء الله الحسنى ليست فقط حسنة، ليست اسما جميلًا فقط، إنما سُميت "حُسنى"؛ لأن كل اسم يتضمن المعنى إلى غاية الكمال. لو سمعت العليم مثلًا، أو سمعت الحكيم، لا تتصوره مجرد اسم، فلان الحكيم، هذا اسم عائلته

وهو يمكن أن يكون أسْفَه الناس، وهذا اسمه كريم من الناس وهو أبخل الناس، وهذا اسمه عبد الله وهو أفجر الناس، والعياذ بالله! فالأسماء عند الخلق يمكن أن يكون الإنسان خلافها، الاسم لا يدل على صفة الإنسان.

وربما يسمى الإنسان من صفته، يقول أحد لأحد إن هذا كريم، وينادي بهذه الصفة ويقول له: "أنت كريم، وما أكرمك، تعال يا كريم"، لكنه ليس مستغرقًا الكرم، ليس له من الغنى ما يجعله يستغرق الكرم، وليس له من النفس التي يستطيع بها أن يكرم الخلق كلهم. لكن أسماء الله حسنى، متضمنة لصفات وهذه الصفات كاملة.

وهنا يأتي الخطر: الناس لا يعرفون الله ولا يعرفون أسماءه الحسنى، ولا يعرفون الصفات التي تتضمنها ولا يتصورون عظمتها فيأتي من هنا ضعف. يأتي الشيطان ويسمي غير الله بأسماء يشاركون الله فيها بالصفات، فتجتمع على الإنسان المشكلتان:

- ضعف في معرفة الله وأسمائه الحسنى وما تتضمنه من صفات كمال.

- وتسمية غير الله بأسماء منزوعة من صفات الله، تعطى لهم فيتعلق الإنسان بهؤلاء.

لذا يستطيع الإنسان أن يتصور حين يقال: "هذا غني"، ويعطى أرقام، فيشعر بالاندهاش، ويشعر بالإعجاب، والليل والنهار تقول: "الله الغني" فما يقع في قلب الإنسان أن يشغل نفسه زمنًا يفكر في غنى الله!

هذه المهمة الإبليسية الخطيرة، بعد ما علّم الله آدم الأسماء كلها، وكرّمه بذلك، أتى الشيطان يتلاعب بهذه الأسماء، وبعدما وهب الله الإنسان قدرة على تسمية الأشياء، أتى الشيطان وتلاعب في هذه القدرة؛ لذا ما أخطر هذا الموضوع على عافية الإنسان، ما أخطره على عافية قلبه، ربما فارق العافية بسبب أنه سمى الأشياء بغير اسمها. انظر إلى البيوت التي نزعت بركاتها بسبب الربا، انظر إلى البيوت التي حصدت آثار الزنا لمّا سُمي "علاقات" و"صداقة"، كلمات ما نطق بها إلا إبليس وأعوانه، يزخرفون الأقوال ويفسدون القلوب والناس يسيرون وراءهم.

إذا عدنا للآية التي تحمل معاني كثيرة، يقول -عزَّ جلَّ-: (إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) هم في هذه التسمية يتبعون الظنون. (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ) معنى ذلك أن الله ما جوَّز وضع الأسماء إلا وهي موافقة للحقائق، لا بد أن يكون هناك دليل نقلي حتى أسمي هذه الأشياء باسمها، أو وجه عقلي لأسمي هذه الأشياء باسمها.

شخّص المسألة وانظر، هذه النظرة من الرجل للمرأة، وهذه النظرة من المرأة للرجل، أُمرنا في الشريعة بغض البصر، إذًا هذه النظرة بريد إبليس، يرسل بريدًا، هذه اسمها، بهذه الطريقة سمِّ الأشياء باسمها، الشريعة ماذا قالت عن هذه الأنواع من المعاملات؟ سمتها ربا، سمِّ الأشياء بعد فحصها بالاسم الشرعي لها، ولا تساوِ بين البيع والربا، أو يكون الاسم له وجه عقلي.

مثلا الناس يشتقون الأسماء من الوظائف، فالسيارة سميت سيارة لأنها تسير بالناس، والطائرة سميت طائرة لأنها تطير تشبه الطيور. وهكذا عادة الناس العقلية، أنهم يشتقون

الأسماء من الوظائف، من الصفات، بهذه الصورة، فلا تعتبر أن التسمية أمر متروك لك، وأمر لأي أحد أن يخرج ويسمي ما يريد، إما أن يكون هذا الأمر الذي نحكم عليه ونناقشه يمكن فحصه فيقاس على دليل نقلي، أو نسميه بوجه عقلي، ولا بد أن يكون الاسم لا خديعة ورائه؛ لذلك هنا أتى الذم، أنتم الذين سميتموها فتسميتكم للأشياء ليست بشيء، وأيضًا سماها الآباء، فقد يقول أحد: "أنا لا علاقة لي، لم أسمها، أنا أتيت وجدت أن هذا اسمها"، نقول: "عليك بفحصها"، مثل أنه لا يصح في العقل أن يقول أحد: "أضلني الأعمى!"، لو قال هذا الكلام نقول: "أنت أضللت نفسك، اتبعت من عرفت أنه لا يصلح الاقتداء به"، أنتم أسميتموها واخترعتموها بالأسماء. تصور أن اختراع الأشياء إنما يكون بوضع اسم لها، نخترع حجة لنمنعهم من الإنفاق، نقول: "هذا تبذير وهدر!"، نخترع حجة لنمنعهم من أي صفة كمال من صفات المؤمنين فنسميها بكذا وكذا.

رب العالمين يقول: (مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ) لا حجة لها ولا برهان، هذه الأسماء أنتم أسميتموها باطلة.

ثم يخبر -عزَّ وجلَّ- أن في ذلك اتباع الظن وما تتمنى الأنفس، وهذا كما أشرنا إنما هو من متابعة الشيطان، يتوهمون أوهامًا، ويقصدون مقاصدًا، ويريدون أن يفسدوا حياة أهل الإيمان، ويريدون أن يجروا علينا ما تشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء فيجروا علينا الأسماء ويغتر الإنسان بالأسماء. قل لأي إنسان مفتون: "هذه ماركة" تجد كأنك سحرته، يمكن أن يدفع مبلغًا هائلًا لمجرد هذه الكلمة التي سمعها، وهذه من الكلمات الخادعة، والشريعة نهت عن الخداع والغش في البيع والشراء، وفي الحياة وفي المفاهيم، وفي كل أمر.

الشيطان يريد من الإنسان أن يسير وراء نفسه الأمارة بالسوء، ويلتفت إليها ويميل إليها ويبتعد عن الحق، ولا ريب أن من اتبع ظنه وما اشتهته الأنفس بعد أن جاءه الهدى والبيان، لا ريب أنه لا يعتد به، بل ولا يعدّ إنسانًا؛ لأن الإنسان دائمًا في حال من طلب الحق والسمو، وليس في الجري وراء الأهواء.

موضوع كبير وعظيم ويحتاج إلى جهد ومراجعة وبيان. تكفينا هذه الإضاءة، نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعلها في الميزان، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.